الجزيرة أصل الحضارة العربية (2)

محمد عوض الله العمري

في المقال السابق ذكرت (المصادر المعتبرة في تاريخ القبائل وأيام العرب وحروبهم وأشعارهم، ومعاجم الأماكن التي خلدت ذكرها حوادث أغنت المكتبات، لمؤلفين كتبوا من خارج الديار، واعتمادهم الأكبر عن المنقول والمقروء، بعيدًا عن المعايشة الحقيقة الدائمة لمكان تلك الأحداث.)

وتطرقت لمعلم من معالم الجزيرة العربية وهو جبل (علم) أو (جبال العلم) وإنه مسمى لجبلين محددين بعينهما، أحدهما (علم عبس) أو (جبال علم بني رشيد) بالقرب من حائل، والآخر جبل (العلم) قرب صفينة الأثرية وكانت ديار بني سليم، ولم يكن ذكرهما في شعر عنترة والخنساء إلا معيّنًا لا مطلقًا.

وهنا سأذكر موقعًا آخر اختلف الرواة في تحديد مكانه، فلم يتوانوا في الصاقه بـ(أنقرة) أو (أنكورية) حيث قبر أمرئ القيس، استنادًا لبيته الذي يُزعم أنه قاله (أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِيّ مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ)!

وفي البداية لنقف على قائل البيت الحقيقي فنسبته لأمرئ القيس ليست جازمة، فقد نسب لـ (صخر بن عمر من آل الشريد)، وهو أخو الخنساء بنت عمرو السلمية الشاعرة المعروفة، فحين وافته المنية قال:

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... علينا وكل المخطئين مصيب
أجارتنا لست الغداة بظاعن ... وإني مقيم ما أقام عسيب

ومات فدفن بقرب عسيب. (من كتاب: مقاتل الفرسان لأبي عبيدة، أن صخر بن عمرو الشريد أخا الخنساء، قال لما أدركه الموت: وذكر الأبيات)

وذكره أبو منصور الأزهري في التهذيب: (عسيبٌ جبلٌ بعالية نجد معروف، يُقال: لا أفعلُ كذا أقامَ عسيبُ)

وكذلك الحازمي في المؤتلف والمختلف في أسماء الأماكن:
(عسيب - بالسين المهملة - جبلٌ حجازي دُفِنَ عنده صخر أخو الخنساء، قالت الخنساءُ:
أَجَارتَنا لستُ الغداةَ بِظاعنٍ ولكنْ مُقِيْمٌ ما أقامَ عسيبُ).
وأيضًا الزمخشري في كتاب الأماكن: (عسيبٌ جبلٌ لهذيل، وجبلٌ لقريش).

وأبو عبيد البكري في معجم ما استعجم: (عسيبٌ - بفتح أوَّلِه، وكسر ثانيه - جبلٌ تقدَّم ذِكْرُهُ، وتحديدُهُ في رسم البقيع، وهو في ديار بني سُلَيْم إلى جنب المدينة، وهناك قبرُ صخر بن عمرو أخي الخنساء، وهو القائل:
أجارَتَنا لستُ الغداةَ بِظاعِنٍ ولكنْ مُقِيْمٌ ما أقامَ عسيبُ).
في (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري (قال صخر:

أجارتنا إنَّ الخطوبَ تنوبُ على الناس، كُلَّ المُخْطِئينَ تُصيبُ
أَجارَتَنا إنْ تَسْأَليني فَإِنَّني مُقِيْمٌ، لَعَمْري ما أقامَ عسيبُ
كَأَنِيِّ، وقد أَدْنَوْا لِحَزِّ شِفَارهم من الصَّبرْ دامي الصَّفْحَتَينْ نَكِيْبُ)

فجبل (عسيب) من جبال جزيرة العرب، وكان يضرب به المثل في الثبوت وعدم التزحزح عن المكان والرأي والقول، وإنما أورده امرؤ القيس -إن صحت الرواية- في أبياته من باب ضرب المثل فقط، لا من باب تحديد مكان الجبل، فلم يعرف جبل في بلاد الروم أو تركيا بهذا الاسم.

وقد أصدرت بلدية إسطنبول في عام 2007 كتاب تاريخي ذكروا فيه وجود قبر امرئ القيس في تلة (هيديرليك) والمعروفة في السابق بتلة (تيمورلنك)، ولم يرد ذكر لجبل عسيب!

ذُكر جبل (عسيب) في الجزيرة العربية فقط وإن اختلف تحديد موقعه في الكتب والمصادر القديمة، وهذا المتوقع ممن كتب (عن بعد) ودون معايشة، وإن كان الجبل(عسيب) معروف اليوم باسمه ومسماه، فقط نأمل ليكون ضمن دائرة الإمكان في تحديد المكان، دون الاعتماد على تحديد تراثنا وموروثنا وأماكننا على كتابات من خارج الإطار المجتمعي الخاص بنا، فهذا إرثنا ونحن أحق بالكتابة عنه وتحديد موضعه.

(أطلس أسماء الأماكن في الشعر العربي: المعلقات العشر / اعداد محمد بن احمد الراشد، عبدا لله بن صالح العنيزان) 2011 قيمة ثقافية عالية جدًا، وإثراء حقيقي، ووفاء رائع، وبداية موفقة.

ولابد من الوقوف على الأماكن الأخرى التي وثقها لنا الشعر العربي في بلادنا، وحري بنا معرفتها وإن تغيرت مسمياتها من إبدال أو تصحيف أو غير ذلك.

والبيت التالي يذكر فيه الشاعر ثلاثة أماكن قرب المدينة المنورة، وتقع في طريق الهجرة النبوية:
(إِذا أَمسَيتُ بَطنُ مُجاحَ دوني وَعَمقٌ دونَ عَزَّةَ فَالنَقيعُ) *كثيرّ عزة